بسم الله الرحمن الرحيم

# الاستخلاف والعلم في القرآن الكريم ، العلاقة بين الضمور والظهور، إلى أين ؟


**د. صباح إدريس بوعياد**


## المبحث الأول: النواميس الكونية والسنن الإلاهية في الخلق و الاستخلاف

قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39( [1]

بعد تدبر في هذه الآيات البينات تبين لي أن خلق آدم كان من أجل الاستخلاف في الأرض ، وأن من شروط هذا الاستخلاف كان العلم فكان تسليح آدم بأسبابه من قدرات واستعدادات هو سبب الوجود وسر السجود .

---

[1] - سورة البقرة الآيات :30 - 39

فكانت القابلية للتعلم مودعة في آدم حتى يتسنى له سبر أغوار الكون الذي سيعيش بين أرجائه ، عالما مكرما حرا لا يستعبده هوى ولا شيطان .فكان الدرس في البداية من الخلق ، وكان الدرس من الجنة ، وكان الدرس من مقاساة الشهوة ، وكان الدرس من مكابدة الوسوسة والغواية.وكان الدرس من التوبة والإنابة ، وكان الدرس من تعليم العليم الحكيم شاملا لأصناف الخلق جميعهم إنسا وجنا وملائكة .فنزل الجميع إلى الأرض باستثناء الملائكة بعد هذا التعليم وبعد هذا التعميم ، ليكون التمحيص ، وليبلو بعضهم ببعض ، وليميز الله الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب ولتكون العودة في النهاية إلى الجنة أو النار تبعا لنتائج الاختيار والاختبار.

من هنا كان موضوع المداخلة قضية أساس ربما هي لب القضايا ، إنها قضية العقل والقلب ومكانهما من الإنسان ، الإنسان الذي ينسى قيمته ومكانته عند الله ، فينحرف عن المسار ، ويضل عن الطريق ، ويعطل القلب عن وظيفته ، ويقصي العقل عن عمله ، فيقع في ظلمات بعضها فوق بعض ، تحجب عنه الحقيقة ، وتدلس منه الرؤية ، فتلتبس عليه الأمور ، ولا يعود يرى شيئا .

فيقع فريسة للشيطان يتلاعب به كيف يشاء ، فيكفر بربه ويجحد نعمة خالقه ، ويظلم الناس ويسفك الدماء ويفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل ، وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، بل ويتجرأ أكثر، فيحرف الكلم عن مواضعه ، ويسمي ذلك كله منه إصلاحا .

## 1 - قانون الاستخلاف بين العلم والعدل :

مذ خلق الله آدم وأنزله إلى الأرض ليكمل الامتحان ، بعد أن تعلم ووعى الدرس ، بأن يتجنب الغرور بالنجاح في أول الأمر .ومذ أسند الله إلى آدم الخلافة ، لينوب عنه في الحكم فيحكم بما علمه الله .ومذ اصطفاه الله لهذا الدور الجلل ، ليحكم بين الناس بالعدل ، ويحافظ على النسل ، وعلى التكريم للنفس البشرية .ويحاكم بحكم الله ، من استسلم للغواية ومن وقع تحت تأثير التدليس والتلبيس من إبليس ، وينزل عليه

العقوبة التي يستحقها ، من جنس فعله وذنبه . إذ لا يعقل أن يتغاضى على من يبوء بالذنب أو يقع في الظلم ، أو في القتل للبشرية كلها ، بقتل النفس البشرية الواحدة .

مذ ذاك الحين والبشرية في حاجة ماسة إلى حاكم يحكم بين الناس بالعدل ، ويقيم فيهم شرع الله ، حتى لا يظلم بعضهم بعضا ، ولا يأكل بعضهم بعضا ، ولايقتل بعضهم بعضا .

فكانت هذه مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعا ، ومن ولاهم الله مهمة النيابة عنه في القضاء من سائر أولياء الأمور ، حتى لا تقع الفوضى والهرج والفتنة في الدين والدنيا ، وحتى تتحقق مصالح الناس وتضمن حقوقهم بالسوية .

فلاعجب أن نجد الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام ، قبل أن يتم له أمر تأسيس الدولة في المدينة ، كان قد أرسل أصحابه أولا إلى الحبشة حتى يتنعموا بالأمان في ظل حاكم نصراني كان يحكم بالعدل.

والعدل في الحكم وحماية الحقوق بالسوية هما السمات الأساسية لاستقرار الأمم والدول والمجتمعات ، وهذه لا تتم إلا عبر العلم الذي كان ولايزال في قانون الاستخلاف سنة ماضية و صفة أساسية لابد وأن يكون عليها الحاكم أو الخليفة .

فبالعلم لا بغيره ، استحق آدم أن يكون خليفة في الأرض ، واستحق أن يكون له من الجميع السجود والخضوع ، حتى يحكم بحكم الله ، ويعلم ما علمه الله ، وينشر رسالة الله ، حيث العمل على إعلاء كلمة الله ، وبسط سلطان الله في الأرض .

فبالعلم نزل آدم إلى الأرض ، وبشبه العلم والتضليل نزل عدوه معه ، وقد توعد الانتقام ، منه ومن ذريته ليقعد لهم الصراط المستقيم ، ويصدهم عن السبيل ، ويزين لهم الذنب ، ويوقعهم في المعصية .

نزل آدم إلى الأرض إذا بعد أن وعى الدرس ، وبعد أن علمه ربه كلمات ، يجاهد بها نفسه والشهوات ، كلمات هي جزء لا يتجزأ من الأسماء كلها .

نزل آدم إلى الأرض متعلما سنن الحياة ، مستفيدا من الـدرس ، فاختلفت ذريته فيما بعـد ، حيث الانتصـار أو الانكسـار تحت أسـر التضليل وتحت سلطة الشهوة والهوى.

اختلفت ذريته في التعامل مع أمر الله ، بين مخلص صادق تقي ، وبين منافق شـقي ، رأى نفسـه أولى من أخيـه ، وأحـق منـه في نيل صفة القبول ، من رب يعلم السر وأخفى ، وحسدا منه لأخيه هم بقتله ليستريح من المنافس ، وتخلو لـه السـاحة في التقـرب إلى الله بالصدقات .

فسن سنة الاعتداء بقتل النفس بغير حق للمخالف التقي ، وعكر صفو ساحة التنافس الشريف في القربـات الـتي هي من صـميم الدين الواحد والحق الواحد وللرب الواحد .

وهكذا قتل أحد أبناء آدم أخـاه وأفسـد في الأرض بسـبب الحسـد والكبر ، فكان أن صرعه شيطانه وظفر منه بأكبر نصيب ، فسلك درب الشيطان ووالاه وتولاه فكان من حزبه ومن أتباعه .

ومذ ذلـك الحين تفـرق الإنسـان إلى صـنفين : أوليـاء الـرحمن و أولياء الشيطان .وصار هـؤلاء جميعهم في حـرب وتـدافع وصـراع وتمانع ، لايلتقيـان أبـدا ، لاختلاف الوجهـات والمقاصـد ، والنيـات والدوافع .

فأرسل الله الرسـل عليهم السـلام ، بلسـان أقوامهـا ، وبـالحجج البينات القواطع ، وأنزل معهم الكتب والشرائع ، وجعلهم للحــق والخير مناصرين ، وللعدل ناشرين .

وجعــل من هــؤلاء الرســل عليهم الســلام خلفــاء في الأرض ، ينشرون الهـدى والنـور ، ويخرجـون النـاس من ظلمـات الضـلال المبين ، وينتشلون من أراد الله لهم الهدى من براثن الجاهلية.

فانقســم النــاس إلى أتبــاع الرســل وإلى الخصــوم ، وانقســم الخصوم إلى الملأ والـدهماء وصـار هـؤلاء بعضـهم يشـايع بعضـا ، وبعضهم يتبع بعضا ، وبعضهم يستأنس ببعض في الكفر والجحــود والعناد .

واستغل أصحاب المصالح والنفود الفرصة ، واختاروا الجدل أسلوبا للحجاج والسفسطة أملا في الخلود ، وموهوا الحقيقة وأخفوها وحجبوها عن الأنظار ، ونازعوا أهل الإيمان واليقين في الدين ، وظنوه سلما للمصالح ، وأرادوا الآخرة بالدنيا ، فسعوا إليها مكابرين ومنافقين .

ونازعوا الرسل عليهم السلام الدين والرسالة وتمادوا في غيهم وفي الضلال المبين وأدخلوا أنفسهم في ظلمات وظلمات ليس فيها بصيص من نور ، بل أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، حتى يشاركهم الجميع في هذا الظلام الدامس ، من آثار تدليس وتلبيس إبليس عليهم ، بما كان يوحي إليهم من قاموسه في الكلمات الخبيثة ، ليجادلوا بها رسلهم عليهم السلام ، و ليحرفوا بها الكلم عن مواضعه ، وليتلاعبوا بالمصطلحات ، وليستمر مسلسل الظلام والضلال في التعمية على الحقيقة ، وفي التمويه والتسفيه وفي خداع الأتباع والمقلدين الذين أبوا إلا أن يغلقوا آذانهم ويصروا ويستكبروا استكبارا .

فيستحوذ عليهم الشيطان ، فينسيهم ذكر الله ، فيصبحون حزب الشيطان وأولياءه ، ويخسرون حتما المعركة ، وينصر الله من ينصره من المؤمنين ، الذين يعتبرون حقا من المنتصرين ، على أنفسهم الأمارة بالسوء أولا ، وعلى الشيطان ومكره ثانيا ، وإن كان مكره وأتباعه مما تزول منه الجبال أو تكاد .نصر الله المؤمنين بالعلم الموصول بالله وبالدار الآخرة ، وخذل الكافرين بالنعم والفضل،الناكرين للإحسان والمعروف من مبدعهم ، الجاحدين لفضل من علمهم ووهبهم هذا العلم الذي هم به قد استخلفوا في الأرض ليعمروها عدلا وصدقا وبرا وكرامة وحرية ومساواة وإنصافا بعيدا عن أية عنصرية أو عنجهية .

## 2 - وحدة المعرفة ووحدة العلم بعيدا عن التجزيء و التفكيك

( كلها) : نستشعر من هذه اللفظة معنى عظيما ، نجده حتما بين كلمات المفسرين ، وإن باهتا ، أو مشتتا بين ثنايا الفهوم والتأويلات .

إنه الكل لا الجزء ، الذي منه وفيه تنتظم المعـاني كـل المعـاني ، والعلاقات بعضها ببعض ، وتظهر الوحدة والانسـجام ، فمـا شـئت أن تجده وجدته ، من ضروب الفهم ، ومن ضـروب القـول ، ومن أنواع العلوم والمعارف ، ومن أشكال الإبداعات والاختراعات .

ففي هـــذا الإطـــار الكلي للعلم ، وفي تنـــاغم تـــام بين العلم والــوحي ، وفي ارتبــاط الكــون بمبدعــه أساســا ، وفي وحــدة المعرفــة بين العلــوم الطبيعيــة والاجتماعيــة و في الحاجــة إلى المصدر والوحي يقول **الدكتور طارق الصادق عبد السلام :** (ذكر علماؤنا الأقدمون أنّ الوحي يشتمل على كافـة العلـوم إمـا تفصيلاً أو تأصـيلاً، أي: إمـا بتفاصـيلها أو بأصـولها، ولا زال الـوحي يؤكد أن عجائبه لا تنقضـي، وأنّ العلمـاء كلمـا أمعنـوا النظـر فيـه خرجوا بحقائق علمية في غاية الدقة. ولما كان الأمر كـذلك فقـد فقــدت المعرفــة - باســتبعاد الــوحي - رافــداً من أهم روافــدها فدخلت في أزمة خانقـة. يقـول البروفسـير محجـوب عبيـد عـالم الفيزياء الشهير " هذا التصور قد يكون مقبولاً حين كان العلم في بداياته يتدرج نحو صقل طـرق القيـاس وتطـوير سـبل الاسـتنباط والاستدلال والبرهان حين كان هذا العلم أقرب إلى حنكة الحرفة منـه إلى عمـق الفكـر والمبـدأ، ولكن التطـورات المعاصـرة في الفيزياء النظرية وعلم الكون والهندسة الوراثية قد تجاوزت ذلــك الموقــف الشــكلي وقــربت تطوراتهــا قضــايا هــذه العلــوم من موضوعات البداية والنهاية وأطلت به على مشارف قضـايا كبـيرة في العقيـدة والفلسـفة، وهـذه التطـورات قـد أحـرجت الموقـف الشكلي البسـيط الـذي يفصـل بين الحقـائق العلميـة والمـذاهب الفكرية وفضحت ضعفه أمام الأبواب المفتوحة نحو إشباع طموح الإنسان في الوقوف على أسرار الخليقة وطبيعة الأشـياء).[2] كمـا يؤكد علماء الطبيعيات أنه ليس هنالـك من برهـان تجريـبي فقـط على صــدق أي نظريــة علميــة تتعلــق بــالعلوم الطبيعيــة، فهــذه النظريات - وانّ كانت مبنية على الملاحظات والحقائق التجريبيــة - إلا أنّ تشــكيل النظريــات يقتضــي مفــاهيم مترابطــة ونســقاً

---

[2] - أسـس التأصـيل الإسـلامي في مجـال العلـوم الطبيعيـة ص 318" محجوب عبيد "أوراق ندوة إسلام المعرفة".

متماسكاً؛ وهنا يـدخل التصـور الـذهني الافتراضـي الـذي لا يمكن التحقق منه تجريبياً .[3]

ولما كان الأمر كما سـبق فليس من المعقـول إطلاقـاً أن تـرفض الحقائق الغيبية التي جاء بها الـوحي وكـانت من الصـدق بحيث لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ثم تقبل أخيلـة العلمـاء وتصوراتهم التي لا يمكن التحقـق من صـدقها تجريبيـاً... ولا شـك أن استخلاص السنن والقـوانين الاجتماعيـة القرآنيـة ليس بـالأمر اليسير الذي يستطيع أن يقول فيه كل من شاء ما شاء، بل لا بــد من مختصين يحللون عوامل الربط والتسبيب والاطراد والانتظام في الظواهر الاجتماعية فضلا عن المعرفة بقوانين الاستنباط من الواقــع من جهــة ومن القــرآن من جهــة أخــرى، وذلــك يقتضــي المعرفة الدقيقة بالمفاهيم الاجتماعية القرآنية الكلية ومــا ينــدرج تحتها من مفاهيم جزئية أو أقل كليـة ومـا ينشـأ من تفـاعلات بين هـذه المفـاهيم الـتي تـترتب بصـورة منهجيـة فتشـكل النظريـات المفسرة للفعل الاجتماعي... والحق أن القرآن العظيم قــد اهتم اهتمامــاً كبـيراً بتأسـيس الحيـاة الاجتماعيـة ومـا ينشـأ فيهـا من علاقـات مختلفـة، وأحكـام القـرآن وأوامـره - في الغـالب - هي قواعد تصوغ التفاعل الاجتماعي في كافة أشكاله وتحدد الأهداف والوسائل التي تمكّن من تحقيق هذه الأهداف. وما علم الاجتمـاع عمومـاً إلا علم يقـوم بدراسـة التفاعـل الاجتمـاعي ويصـوغ هـذا التفاعل حسب الأهداف العامة للمجتمع ووسائل ذلـك، وغايـة مـا يصبو إليـه هـذا العلم هـو دراسـة هـذا التفاعـل وتفسـيره ووضـع القوانين التي تحكمه. [4] وهذا ليس بغـريب على القـرآن الـذي لم يـدع شـاردة إلا وأتى بهـا في شـأن ضـبط المجتمـع وتغيـيره بمـا يتوافــق والقيم الـتي جــاء بهــا لتقــوم مقــام أعــراف القــوم في

---

[3] - الـــــدكتور طـــــارق الصـــــادق عبـــــد الســـــلام tarigimam2002@yahoo.com

[4]

الجاهليـــة ، وممـــا ســبق ذكــره في قضــية الاســتخلاف والعلم والعـدل ، والســنن الـتي يمكن اسـتنتاجها من ذلـك ، يمكننـا أن نحاول بناء نظريات كلية مطردة في علم الاجتماع الذي ما هو إلا تراكمـات وخـبرات من مجمـوع التجـارب الإنسـانية في تفاعلهـا ونموها وتطورها ، ففي قصص الرسل عليهم السلام مع أقوامهم كما يقصها علينا القرآن الكريم ما يكفي لفهم طبيعة هذا الإنسان وطبيعة المجتمع ودور العرف في تشكيل كل منهما.

## 3 - الروح سر من أسرار الله في الخلق والأمر:

ولا يفوتـني هنـا أن أنبـه إلى أن أفضـل مـا يمكن أن يقدمـه هـذا البحث هو خدمة كتاب الله تعالى الخالق الذي أبدع الخلق ووهب الحياة على هذه الأرض ونفخ من روحه في هذا البشر الذي يـدب عليها، فأمده من القدرات ، ما به صار يكتشف ويكتشف، وســخر له الكون ليبلغ ما بلغه من العلم في استنطاق بعض من مكنوناته وخفاياه.

ولعل سر الأسرار ولغز الألغاز هـو هـذه الـروح الـتي بهـا تسـري الحيـاة في كـل خليـة من الخلايـا وفي كـل كـائن حي ، هي هـذه الحياة التي بها كان الإنسان حيا أو ميتا ، بالمعنيين ، شــاهدا على عصره ، يمشي بنوره في الناس هاديـا ومهتـديا ، نافعـا ومحييـا ، صالحا ومنتفعا ، أو ميتـا في الظلمـات يمضـي، لا يـرى الحـق ولا الحقيقة مهما كـانت أنوارهـا تشـع من حواليـه، ينـأى عنهـا وتنـأى عنه ، كالأعمى ما له بصر ، بل كالمشلول ما له يد ولا يد رغم أن يده لاصقة به وموجودة بين جنبيه من فرط الظلمات التي تركبت وتراكمت بعضـها فـوق بعض في أعمـاق أعماقـه أعاذنـا اللـه من الضلال المبين .

الـروح إنهـا تلكم النفخــة العلويــة من روح اللــه ، حلت في آدم ، فجعلت منه إنسانا مكرما ، قادرا على الكلام ، قــادرا على التعلم والاستكشاف ، قادرا على التمتـع بمـا سـخر اللـه لـه ، من أنـواع الخيرات ، مرتبطا بـالكون ، محـاولا تفسـير مـا يـرى من ظـواهر ومظاهر ، تجلت فيها عظمة الله حتما ، في الخلـق والأمـر . إنهـا

الروح تلك التي حيرت العلماء والمتدينين على حد سـواء وأعيتهم أن يجدوا لها جوابا .

إنها الـروح تلـك الـتي بين جنـبي هـذا الإنسـان الحي ، والـتي قـد تغادره يوميا ثم قد تعود إليه ، إذا ما استيقظ حيا من نومه أو قــد تغادره إلى الأبد إن حلت ساعة منيتـه أو على الأصـح فهي فقـط قد تغادر جسده هذا الذي به وبها هو يرى أويسمع أويتحرك ، وبـه وبها هو يفكر أويعقل أو يجن أويعلم أو يتعالم أو يجهـل أويتجاهـل أو يـؤمن أو يكفـر....وفي هـذا الشـأن الـدقيق من رحلـة الـروح اليومية المتجددة نجد البروفيسور آرثر أليسون[5] يقول: ( الأبحاث التي أجريت في مجال الباراسيكولوجي أكدت أن هنـاك شـيئا مـا يخرج من الجسم يعود في حالة النوم ، ولايعود في حالة الموت ، وكـل هـذا قادنـا إلى أن هنـاك علاقـة وثيقـة بين مـا وجـدناه من بحوث وبين القرآن الكريم . ) [6]

القرآن الكريم هنا يتحدث عن الروح في رحلتها عبر النوم كموتة أولى تتكرر يوميا لمن أراد أن يتدبر من خلال هذه الآية الكريمــة من قولـه تعـالى : ( اللـه يتـوفى الأنفس حين موتهـا ، والـتي لم تمت في منامهـا ، فيمسـك الـتي قضـى عليهـا المـوت ، ويرسـل الأخرى إلى أجل مسمى . ) [7] فهذا العالم بحكم تخصصه الــدقيق قاده هذا الاكتشاف إلى الإسلام فأسلم وتسمى بعبد الله أليسون في حين لم يــزد هــذا الاكتشــاف عنــدنا بعض البشــر إلا عنــادا وجحودا وجهلا وسفسـطة من الكلام وجنونـا بالعظمـة الموهومـة الـتي تغلـق على المـرء العقـل والبصـيرة ، فيشـتغل بالمشـتتات والمشوشــات على الحقيقــة ، فتحجب عنــه ، كمــا يحجب عن الأعمى ضوء القمر ليلة كونه بدرا. وبسبب هـذه الـروح آمن من

---

[5] - كان يشغل منصب رئيس جمعية الدراسات النفسية والروحيـة ببريطانيا لمدة 6 سنوات .

[6] - من كتـاب الاكتشـافات العلميـة الحديثـة ودلالتهـا في القـرآن الكريم ص: 5-7

[7] - الزمر : 42

آمن وكفر من كفر من البشر ، وبسبب منها أيضا انقسـم النـاس إلى مؤمن أوكافر ، شقي أو سعيد .

## المبحث الثاني : العلم وقضايا من الإعجاز العلمي

**1 - الموقف من هـذا الإعجـاز بين القبـول والـرفض :**
في الإنكار على من يستنكر ضروبا من هذا النوع من الإعجاز نجد الإمام الرازي كان يقول : (ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال : إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم،وذلـك خلاف المعتاد ، فيقال لهذا المسكين : إنـك لـو تـأملت في كتـاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته...إن الله تعـالى ملأ كتابـه من الاسـتدلال على العلم والقـدرة والحكمـة ، بـأحوال خلـق السماوات والأرض وتعاقب الليـل والنهـار وكيفيـة أحـوال الضـياء والظلام ، وأحوال الشمس والقمر والنجـوم ، وذكـر هـذه الأمـور في أكثر السور، وكررها وأعادهـا مـرة بعـد أخـرى ، فلـو لم يكن البحث عنهـا والتأمـل في أحوالهـا جـائزا ، لمـا ملأ اللـه كتابـه منها ...)[8] ولعل بعضا من هذا الذي كـان قـد انتقـده الـرازي وقـع فيه الشاطبي فيما بعد في كتابه الموافقات قال : ( إن كثـيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا إليـه كـل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعـاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظـر فيـه النـاظرون من هـذه الفنون وأشباهها،وهذا إذا عرضـناه على مـا تقـدم لم يصـح ...) [9] فهل الشاطبي هنا ينبذ التكلف وإقحام كل المسائل والقضايا في تفسيرالقرآن وإن بعدت المناسبة وانتفى الشـرط أم تـراه ينتقـد من يجتهد وفق تخصصه لفهم كتاب الله تعالى على العموم ؟ بل إننا نجد محمد عزة دروزة وهـو من المعاصـرين كـان قـد بلـغ بـه الحد في رفض هذا الضرب من الإعجاز العلمي إلى المدى الـذي جعلـه يقـول :(ممـا يـدل على دقـة المفسـر في فهم كتـاب اللـه تعالى ورجاحة عقله،رفضه وإنكاره اسـتخراج النظريـات العلميـة والفنية والكونية من الآيات القرآنيـة للتـدليل على صـدق القـرآن

---

[8] - تفسير الرازي:14/122

[9] - الموافقات 2/81

وإعجازه ) [10]ولعل هذه المواقف المتضـاربة الواقعـة بين طـرفي نقيض قد عمـرت عنـدنا طـويلا حـتى يمكننـا وسـمها بـالخلود في الموقف من الإعجاز الذي إنما هواسـتجابة لأمـر اللـه في التـدبر عـبر مختلـف العصـور والعلـوم والتخصصـات والفنـون. فلنتأمـل كيف يكون الكلام أحيانا ضربا من العبث ، إذ كيف يعقل رفض ما يخدم كتاب الله تعالى من سائر أنواع التدبر، وما المـانع منهـا إذا كانت مجرد اجتهادات وتأويلات من أولي العلم وأهـل الفن وذوي التخصص.

## 2 - قصة الكفر والإيمان بين العلم والقرآن

ولنتأمل في قوله تعالى : ( والَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَـدَ اللَّهَ عِنْـدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَـابَهُ وَاللَّهُ سَـرِيعُ الْحِسَـابِ أَوْ كَظُلُمَـاتٍ فِي بَحْـرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَـوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَـهُ نُـورًا فَمَـا لَهُ مِنْ نُور.) [11] تأملت في هذه الآيات البينات ، فإذا التشبيه قمة في البلاغة ، إذ يسـتغرب الإنسـان من كفـر العلمـاء والعقلاء من بني البشر ، كيف يعقل أن يكفـروا بمـا أنـزل اللـه ، وبين أيـديهم الحجج القواطع ، وهم أصلا من يصل إليها ، ويحقـق فيهـا ، إلا أن تكون تلك الأيادي ، وقد لامست ولمست الحقيقة حسـا وتجربـة ، هي في ظلمات مطبقة ، لا يكاد يراها صاحبها ، وكأنها ليسـت لـه بيد . فما أحلكها من ظلمات هاته الـتي تحجب الحقيقـة عن اليـد وصـاحبها ، فمـا بالـك ببصـره ، وبصـيرته ، وقـد غشـاها الظلام والظلام والظلام الدامس الذي لم يعد معه أي نـور ينفـع ، أعاذنـا اللـه من الضـلال البعيـد . فهـاهم أهـل الكتـاب قبلنـا ، ألم يكن الكتاب ، والمعجزات البينـات بين أيـديهم ، ومـع ذلـك أبـوا إلا أن يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، فصاروا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويتلاعبون بأصحاب العقول الخفاف ، ويحتكرون هـذه الأوهـام ،

[10] - الإشـارات العلميـة والإعجـاز القـرآني : 639 د. حسـن الطـوير .بحث منشـور في مجلـة كليـة الـدعوة الإسـلامية في طرابلس الغرب :العدد العشرون سنة 2003

[11] - سورة النور الآية 49

التي يلبسونها لباس الدين ، فيصبحون المتكلمون باسـم الـدين ، الذي ابتدعوه ، عابدين الطاغوت والهوى يستأنس بعضـهم ببعض في هذا الإفك والبهتان المبين .

لقد شبّه القرآن أعمال الكفار بالسراب، ونحن نعلم بـأن ظـاهرة السراب عبـارة عن لا شـيء ، ثم شـبَّه هـذه الأعمـال بالظلمـات التي في أعماق البحار، ونعلم أن الظلام عبارة عن لا شيء أيضاً.

إذن التشبيه القرآني دقيـق جـداً من الناحيـة العلميـة، لأن الظلام الموجود في أعماق البحر شبه كامل، ولكن ماذا يعـني أن يصـف الله تعالى حالة إنسـان كهـذا يعيش في ظلمـات وأعمـاق البحـار الباردة عندما يخرج يده فلا يراها؟

إن القرآن العظيم لا يتحدث إلا عن حقائق يقينية واقعة، وبمـا أن الله تبارك وتعالى قد وصف لنا حالة من يعيش تحت أمواج البحر العميقة، وحاله هي ( إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ) فهو بذلك يشير حتما إلى عصر الغواصات .

وكأن الله عـز وجـل يقـول للـذين كفـروا : انظـروا إلى أعمـالكم الخاطئة فهي لن توصلكم إلى شـيء ، فإنهـا كالسـراب الـذي لن يوصل من يتبعه إلى شيء، وهي كإنسان يعيش تحت بحر عميـق يعاني ظلمة البحر وظلمة الماء البـارد، ويعـاني الضـغوط الهائلـة التي يمارسها عليه الماء، فكيف ستكون حياته ؟[12]

**3 - دور الإعجـاز العلمي في الوصـول إلى الإيمـان :**
ويكفي إعلان القرآن عن خفايا النشأة الأولى قبل أن يدركها بشر كدليل على صدق التنزيـل متوافقـة تمامًـا مـع الكشـوف العلميـة مصداقًا لقوله تعـالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَـا فِي الْآفَـاقِ وَفِي أَنْفُسِـهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَـقُّ أَوَلَمْ يَكْـفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [13]

[12] - من موقع كحيل في الإعجاز باختصار وتصرف

[13] 13 - فصلت 53

قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [14]

وقد جاءت الكشوف العلمية في كل مجالات العلوم شاهدةً للقرآن الكريم بالسبق, وأحدث اكتشاف قد نال أصحابه جائزة نوبل في الفيزياء لهذا العام 2011, وهو يعلن أن الكون على مستوى المجرات البعيدة يبدو في توسع يتسارع مع الابتعاد مما يؤكد أن له ابتداء؛ يعني لحظة خلق, وهو ما أعلنته مسبقا نظرية الانفجار الكبير Big Bang وأكده الاكتشاف الجديد باستخدام وسائل أحدث. وفي قوله تعالى: (وَالسّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنّا لَمُوسِعُون) [15] فعل (البناء) بالماضي يفيد التكامل, والصيغة (مُوسِعُونَ) من السعة في القدرة, وهي غير الصيغة (مُوَسِّعُون) من التوسعة في الحيز؛ أي نوسعها دومًا .

و لفظ (مُوسِعُونَ) أي قادرون على إعادتها كما هو قول جمهور المفسرين مصداقًا لقوله تعالى( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [16]

اضطر الفيزيائي ستيفن هوكنج إلى الاعتراف دافعًا الفوضى بقوله: ليس كل تاريخ العلم إلا التحقق التدريجي من أن الأحداث لم تقع بطريقة اعتباطية ؛ وطعن في الإلحاد بقوله: "طالما أن للكون بداية

فحتما لا بد من خالق"[17]

وبالمثل دفع إتقان التصميم في الكون الفيزيائي روس إلى الاعتراف أيضًا بقوله صريحًا : "عندما أبحث عن إلحادي لأناقشه

---

[14] 14- العنكبوت 20

15– الذاريات 47

[15] 16 - الأنبياء : 104

[16] 17 - في كتابه تاريخ موجز للزمن : ص 140 وص 122

[17] 18 - في كتابه الكون والخالق ص122

أذهب إلى قسم الفلسفة في الجامعة ؛ لأنه لم يبق في علم الفيزياء Physics شيء يدل عليه".[18]

وبالمثل قال ألفريد هويل: "تقول نظرية الانفجار الكبير بأن الكون نشأ نتيجة انفجار كبير، ونحن نعلم أن كل انفجار يبعثر المادة دون نظام، ولكن الانفجار الكبير عمل العكس، إذ عمل على جمع المادة وفق تصميم وقدرة فريدة لتشكيل المجرات والنجوم والتوابع ونشأة الإنسان على هذه الأرض"

وقال جورج كرنشتاين: "كلما دقَّقنا في الأدلة التي يقدمها الكون المفتوح الصفحات أمامنا واجهتنا على الدوام الحقيقة نفسها، وهي أن هناك قدرة إلهية خلف بدء الخلق وكافة الأحداث"

قال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان"

وقال الدكتور مايكل بيهي: "على مدى الأربعين سنة الماضية اكتشف علوم الحياة أسرار الخلية، واستلزم ذلك من عشرات الآلاف من الأشخاص تكريس أفضل سنوات حياتهم, وتجسَّدت نتيجة كل هذه الجهود المتراكمة لدراسة الخلية في صرخة عالية تقول: التصميم المُوَجَّه الرشيد Directed Design Rationally؛ وهو يؤدي حتماً إلى التسليم بوجود الخالق المُبدع"

وقد وصف تشاندرا كراماسنغي الحقيقة بقوله: "تعرض دماغي لعملية غسيل هائلة كي أعتقدَ أن العلوم لا يمكن أن تتوافق مع أي نوع من أنواع الخلق المقصود, (ولكني الآن) لا أستطيع أن أجد أية حجة يقبلها العقل تستطيع الوقوف أمام دلائل قدرة الخالق حولنا؛ الآن ندرك أن الإجابة المنطقية الوحيدة لظهور الوجود هي الخلق وليس الخبط العشوائي غير المقصود"

قال تعالى :(وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون .) [19]

---

[18]

[19] - النمل : 93

## المبحث الثالث : اللغة و الإعجاز البياني في القرآن الكريم

### 1- الإعجاز البياني بين اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز:

تحدث عبد القاهر الجرجاني عن الإعجاز اللغوي في رسالتين : (الشافية)و(دلائل الإعجاز) لكن الجرجاني لم يرتب كتابه (دلائل الإعجاز ) كما ينبغي على رأي الإمام فخر الدين الرازي قال موضحا هذه المسألة : (أهمل رعاية ترتيب الفصول والأبواب، وأطنب في الكلام كل الإطناب. ) [20]والحق مع الفخر في هذه المسألة ، لأن كتاب دلائل الإعجاز يتعب من أراد أن يتتبع مسائله ويتابع كلامه المسترسل في الحجاج ورد أقوال الطاعنين في النحو أو الشعر أو البيان لإثبات إعجاز القرآن .

فكم أطنب الجرجاني وهو يعيب على أهل زمانه ممن كان يستبعد اللغة والبيان عن موضوع الإعجاز بدعوى أن المعجزة ليست خاصة بالعرب بل تشمل العجم أيضا ، وكم كان يحاججهم بالدليل والبرهان.

ومن كان يقول بالصرفة آنذاك كان وكأنه بذلك يصرف الناس عن الإعجاز اللغوي بدعوى أن العرب ليسوا وحدهم المعنيين بالإعجاز ، والصرفة قول ملغ للإعجاز من الأساس بدعوى أن الله صرف العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن ولذلك عجزوا عن الإتيان بمثله ، ولو لم يصرفهم لما عجزوا ، ولست أدري لماذا هذا التحكم والهوى ، واللفظ في القرآن كما المعنى كما الحكم كما النظم ، كل ذلك معجز وقائم فيه التحدي ، ولو كان العرب مصروفون اضطرارا ، فهل هناك من معنى لإقامة التحدي عليهم بالإتيان بمثل هذا القرآن ، ولو في عشر آيات منه ، ومطالبتهم بالإتيان بمثله في آيات وآيات من الذكر الحكيم .

يقول الباقلاني : ( نظم القرآن يجمع بين الوجوه الكثيرة ، فيجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب بينما يتفاوت كلام الفصحاء تفاوتا بينا في ضم وجمع الكلام المتنافر) وفي

[20] - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي الفخر ص :51

الإعجــاز في المعــنى والحكم والــتركيب في خضــم الجــدل والمحاججة للملحدين ، يقول البـاقلاني : (المعـاني الـتي تضـمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الــدين ، والرد على الملحدين ، على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة،مما يتعذر على البشر ويمتنع ) [21]

ولو فقهوا ما كان يرمي إليه ما جادلوه ، لأنه أكد على أن الإعجاز يتم من حيث علاقــة اللفــظ بــالمعنى وليس من حيث هــو لفــظ مفــرد فقــط ، وأن الألفـاظ إنمـا تتم لهـا المعـاني إذا فهمت من السياق الذي وردت فيه كاملا وليس مفصولة عن بعضها .

يقول الجرجاني في هذا المعنى : بسم الله الرحمن الـرحيم وبـه ثقتي وعليه اعتمادي اعلم أن هاهنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صـورة من يعـرف من جـانب وينكـر من آخـر وهـو أن الألفـاظ المفـردة الـتي هي أوضـاع اللغـة لم توضـع لتعـرف معانيهـا في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينهـا فوائـد وهذا علم شريف وأصل عظيم ... والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت ليعرف بهـا معانيهـا في أنفسها لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقـل في اسـتحالته . وهـو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لهـا لتعرفهـا بها حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا رجل وفرس ودار لما كان يكون لنا علم بمعانيها .وحتى لو لم يكونـوا قـالوا فعـل ويفعـل لمـا كنـا نعرف الخبر في نفسه ومن أصله ولو لم يكونـوا قـد قـالوا افعـل لما كنا نعرف الأمر من أصله ولا نجده في نفوسنا ، وحتى لــو لم يكونوا قد وضعوا الحروف ، لكنا نجهل معانيهـا فلا نعقـل نفيـا ولا نهيـا ولا اسـتفهاما ولا اسـتثناء . وكيـف والمواضـعة لا تكـون ولا تتصور إلا على معلوم فمحال أن يوضـع اسـم أو غـير اسـم لغـير معلوم .ولأن المواضعة كالإشارة فكمـا أنـك إذا قلت خـذ ذاك لم تكن هذه الإشارة لتعـرف السـامع المشـار إليـه في نفسـه ولكن ليعلم أنه المقصود من بين سـائر الأشـياء الـتي تراهـا وتبصـرها ، كذلك حكم اللفظ مـع مـا وضـع لـه.ومن هـذا الـذي يشـك أنـا لم

---

[21] - إعجاز القرآن: 38-42 للباقلاني تـ 403 هـ تحقيق السيد أحمد صقر نشر دار المعارف مصر .الطبعة الثالثة

نعرف الرجل والفرس والضرب والقتـل إلا من أسـاميها لـو كـان لـذلك مسـاغ في العقـل لكـان ينبغي إذا قيـل زيـد أن تعـرف المسمى بهذا الاسم من غـير أن تكـون قـد شـاهدته أو ذكـر لـك بصـفة .وإذا قلنـا في العلم واللغـات من مبتـدأ الأمـر إنـه كـان إلهاما ، فإن الإلهام في ذلك إنما يكون بين شيئين يكـون أحـدهما مثبتا والآخر مثبتا له ، أو يكون أحدهما منفيـا والآخـر منفيـا عنـه ، وأنه لا يتصور مثبت من غير مثبت له ، ومنفي من غير منفي عنه ، فلما كـان الأمـر كـذلك أوجب ذلـك أن لا يعقـل إلا من مجمـوع جملة فعل واسم : كقولنا خـرج زيـد أو اسـم واسـم :كقولنـا زيـد خارج ، فما عقلناه منه وهو نسـبة الخـروج إلى زيـد لا يرجـع إلى معاني اللغات ولكن إلى كون ألفاظ اللغات سمات لذلك المعـنى وكونها مرادة بها.أفلا ترى إلى قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضـهم على الملائكـة فقـال أنـبئوني بأسـماء هـؤلاء إن كنتم صادقين أفترى أنه قيل لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء وهم لا يعرفون المشـار إليهم بهـؤلاء ثم إنـا إذا نظرنـا في المعـاني الـتي يصـفها العقلاء بأنها معـان مسـتنبطة ولطـائف مسـتخرجة ويجعلـون لهـا اختصاصا بقائل دون قائل: كمثل قولهم في معان من الشعر إنــه معنى لم يسبق إليـه فلان وإنـه الـذي فطن لـه واسـتخرجه وإنـه الذي غاص عليه بفكره وإنه أبو عـذره لم تجـد تلـك المعـاني في الأمر الأعم شيئا غير الخبر الذي هو إثبات المعنى للشـيء ونفيـه عنه .يدلك على ذلك أنا لا ننظـر إلى شـيء من المعـاني الغريبـة الـتي تختص بقائـل دون قائـل إلا وجـدت الأصـل فيـه والأسـاس الإثبات والنفي وإن أردت في ذلك مثالا فانظر إلى بيت الفــرزدق (الطويل)

ومـا حملت أم امـرىء في ضـلوعها أعـق من الجـاني عليهـا هجائيا

فإنك إذا نظرت لم تشك في الأصل والأساس هو قوله : وما حملت أم امرىء ، وأن ما جاوز ذلك من الكلمات إلى آخر البيت مستند إليه ومبني عليه وأنك إن رفعته لم تجد لشيء منها بيانا ولا رأيت لذكرها معنى بل ترى ذكرك لها إن ذكرتها هذيانا ......[22]

[22] - دلائل الإعجاز ص: 330

قد فرغنا الآن من الكلام على جنس المزية وأنها من حيز المعاني دون الألفاظ وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك وتعمل رويتك وتراجع عقلك وتستنجد في الجملة فهمك.[23]

## 2 - الحقيقـة والمجـاز فن من فنـون هـذا النـوع من الإعجاز

ولنتأمل أكثر عند تحليله للآيات وتمثيله بها واحتجاجه بالدليل يستنهض بذلك الهمم لدى فاقدي الذوق اللساني والبياني من المفسرين .

وفي قوله تعالى ( إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) أي لمن كان أعمل قلبه فيما خلق القلب له من التدبر والتفكر والنظر فيما ينبغي أن ينظر فيه .

فهذا على أن يجعل الذي لا يعي ولا يسمع ولا ينظر ولا يتفكر كأنه قد عدم القلب من حيث عدم الانتفاع به وفاته الذي هو فائدة القلب والمطلوب منه ، كما جعل الذي لا ينتفع ببصره وسمعه ولا يفكر فيما يؤديان إليه ولا يحصل من رؤية ما يرى وسماع ما يسمع على فائدة بمنزلة من لا سمع له ولا بصر .

فأما تفسير من يفسره على أنه بمعنى من كان له عقل فإنه إنما يصح على أن يكون قد أراد الدلالة على الغرض على الجملة .

فأما أن يؤخذ به على هذا الظاهر حتى كأن القلب اسم للعقل كما يتوهمه أهل الحشو ومن لا يعرف مخارج الكلام فمحال باطل لأنه يؤدي إلى إبطال الغرض من الآية وإلى تحريف الكلام عن صورته وإزالة المعنى عن جهته .وذاك أن المراد به الحث على النظر والتقريع على تركه وذم من يخل به ويغفل عنه ولا يحصل ذلك إلا بالطريق الذي قدمته وإلا بأن يكون قد جعل من لا يفقه بقلبه ولا ينظر ولا يتفكر كأنه ليس بذي قلب كما يجعل كأنه جماد وكأنه ميت لا يشعر ولا يحس . وليس سبيل من فسر القلب هاهنا على العقل إلا سبيل من فسر عليه العين والسمع

---

[23] - دلائل الإعجاز ص : 64

في قول الناس هذا بين لمن كانت لـه عين ولمن كـان لـه سـمع وفسـر العمى والصـمم والمـوت في صـفة من يوصـف بالجهالـة على مجرد الجهل وأجرى جميع ذلك عـل الظـاهر فاعرفـه . ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسـير بغـير علم أن يتوهمـوا أبـدا في الألفـاظ الموضـوعة على المجـاز والتمثيـل أنهـا على ظواهرهـا ، فيفسـدوا المعـنى بـذلك ويبطلـوا الغـرض ، ويمنعـوا أنفسـهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة .. .وناهيـك بهم إذا هم أخـذوا في ذكر الوجوه ، وجعلوا يكثرون في غير طائل ، هنـاك تـرى مـا شئت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد قدحوا به .[24]

**3 – فضل القرآن على تطور اللغة العربية :** فلا عجب أن نجد الرافعي بعد ذلـك يقـول : إن القـرآن كـان علم البلاغـة عنـد العرب ، ثم صار بعدهم بلاغة هـذا العلم.[25] ولنتأمـل في كلام ابن فارس عن النقلة الـتي وقعت على اللغـة بمجيء الإسـلام ، وعن التطـور الـذي عرفتـه من خلال القـرآن الكـريم وأحكامـه وآدابـه وقيمـه وأخلاقـه وهديـه ومنهاجـه ، قـال : ( كـانت العـرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغـاتهم وآدابهم ونسـائكهم وقـرابينهم ، فلمـا جـاء اللـه جـل ثنـاؤه بالإسـلام حـالت أحـوال ، ونسـخت ديانـات ، وأبطلت أمـور ، ونقلت من اللغـة ألفـاظ من مواضـع إلى مواضـع أخـر بزيـادات زيـدت ، وشـرائع شـرعت ، وشرائط شرطت ) [26] من هنا طـرحت أسـئلة حقيقيـة عن فضـل القـرآن على اللغـة العربيـة وعلى العـرب وأثـيرت مشـكلات قـد تكــون أحيانــا من لغــو الكلم أو من فضــول العلم عن الحقيقــة والمجاز ، حـتى بلـغ الحـد بالزركشـي أن يـذهب إلى أن الألفـاظ الشرعية والعرفية إنما صارت كذلك بكثرة الاستعمال لا بالتواضع

---

[24] - دلائل الإعجاز ص : 304 باب اللفظ والنظم

[25] - إعجاز القرآن والبلاغـة النبويـة : 257 مصـطفى صـادق الـرافعي تـ 1356 هـ

[26] - الصـاحبي في فقـه اللغـة : 17 لابن فـارس بـاب الأسـماء الإسـلامية المكتبة السلفية القاهرة، 1910 م

السابق ، وأن يقول: إن العرف بغلبة الاستعمال يقوم مقام ابتداء المواضعة.[27]

وهنا لابد من مراجعة هـذا الكلام ، لأن العـرف في اللغـة لا يجيب عن السؤال عن مبدأ اللغات أبدا ، وعن مرحلة ما قبـل أن تصـير اللغة عرفا ، فالعرف إذا لن يقـوم أبـدا مقـام ابتـداء المواضـعة ، خاصة وأننـا نلاحـظ على الزركشـي أنـه لم يقتصـر على الأسـماء اللغويـة بـل عمـد أيضـا إلى تعميم قاعدتـه تلـك على الأسـماء الشرعية كالزكاة مثلا في الاستعمال القرآني .

فمن يجرؤ بعد ذلك على القول بانتقال اللغة من المواضــعة إلى العرف بغلبة الاستعمال في الأسماء الشرعية ، والله تعـالى هـو من جـاء بأحكـام هـذه العبـادات في محكم التنزيـل ، ولم يكن للاستعمال أو غلبته فيها أي دور ، بـل لم تكن معروفـة قبـل عنـد العرب ولا غيرهم بصفاتها ومقاديرها وأحكامها نهائيا ؟

ومع هذا فقد اعتبر بعض الباحثين كثرة الاسـتعمال معيـارا لصـفة المصـطلحية ومن أهم الإشـارات الدالـة على عمـق النظـر إلى المصطلح القرآني ذلك أنه عنده هو كل لفظ استعمل في القرآن الكريم بدلالة معينة تطرد كليا أو جزئيا في كل موارده...[28]

ولعل الأمور بمقاصدها عند الدارسين والباحثين ، فلـذلك اختلفت اصطلاحاتهم واستنتاجاتهم وتحليلاتهم وتعليلاتهم وهم يفسرون أو يتدبرون أو يتفكرون .

ولعل من أجمل الكلمات الجامعـة والكليـات المانعـة الناتجـة عن الدرس والفحص تلكم الكليات التي أوردها الطـبري في تفسـيره

---

[27] - البحـر المحيـط في أصـول الفقـه : 2/155 الزركشـي مراجعـة عمـر سليمان الأشقر طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسـلامية بـالكويت 1982 م

- من مواضع متفرقة من جامع البيان جمعتها د. فريـدة زمـرد في بحثهـا عن جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني المسـار والمصـير :552 – 565 الكتاب الثالث من بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القـرآن الكريم وعلومه1432هـ - 2011 م

[28] - نفس المرجع

متدبرا كثرة الاستعمال ، قال : كل شيء في القــرآن من زكى أو تزكى ، فهو الإسلام . كل شيء في القرآن سـلطان فهـو حجـة . كل شيء في القرآن السيئة فهو الشرك . كل شيء في القــرآن السياحة : هم الصائمون . كل ظن في القرآن يقين . كـل فسـق في القرآن فمعناه الكذب ) [29]

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول كما قال غيرنـا من البـاحثين في الإعجاز المعجبين بنتائجه واستثماراته : في العصـر الحـديث كـان للمبحث في إعجـاز القــرآن مكانـا متمـيزا من الدراسـة ، وقـد تنوعت مجـالات البحث في الإعجـاز ، وكـان للإعجـاز العلمي في هـذا العصـر صـيتا ذائعـا ، وخاصـة من الناحيـة الإعلاميـة نظـرا لظروف الانفجار المعرفي ، والانفتاح العلمي على الغرب .

أما الإعجاز الدلالي بأنواعه فقد كان امتدادا للجهـود السـابقة في هـذا المجـال ، كمـا نـال بعض هـذه البحـوث على تمـيز ظـاهر ، وتجديد في العرض ، ودقة في التأمل ، ومزيد من الاستقصاء . [30]

وحسبنا هنا أن نكون قد عرجنا على بعض من فيض معـاني قولـه تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها ، إذ ستبقى بإذن الله تعالى دائمـا وأبدا ، منهلا يرتوي منه الباحثون ماء زلالا ، ويغترفون من ضروب طعامـه شـتى أنواعـه ، ومن فنـون الكلام أشـهى معانيـه ، ومن مناحي القول أعذب أذواقه ، ومن نـواحي العلم أعمـق أنظـاره ، ومن آفـاق الكـون أدق أسـراره ، إذ تنتظم في كـل ذلـك أسـمى المعـاني الممكنـة ، وأعلى العلـوم المتنوعـة ، لتهـديك إلى أغلى القدرات المختلفة ، التي يمتلكهـا هـذا الإنسـان الـذي علمـه ربـه فتعلم ، ونفخ فيه من روحه فانطلق يتأمل ، فيما حوله من خفايـا الكون ، ودقائق اللغة ، وأسرار الخلق .

من هنا كـان الخلـق للغـة هـو من جنس الخلـق للسـان بمختلـف لغاته ، ومن جنس الخلـق للإنسـان نفسـه مختلفـا عن الآخـر في شـكله ولونـه ، وفي عقلـه وعلمـه ، وفي إيمانـه أو كفـره ، وفي

---

29

30 -. جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه..المحور الثالث . ص:695 الاستعارة التمثيلية في تفسير التحرير والتنوير علي العطار جامعة الأزهر .من موضوع : التفسير النحوي للقرآن الكريم :تاريخه ومجالاته .د.فريد السليم جامعة القصيم .

ضلاله وغيه أو في هدايته وبره ، وفي ظلمه وبغيه أو في عدله وإنصافه ، وفي صدقه أو كذبه ، وفي إخلاصه أو نفاقه .

واللغة من خلق الله ، والعلم من تعليم الله ، والعلم من غير لغة لا يكون ، كما أن اللغة من غير علم لاتنفع أو تشفع ، لذلك كان من الضرورة ربط العلم باللغة وبالدين وإلا كان الإفلاس والضلال المبين.

## فهرس المصادر والمراجع


أسس التأصيل الإسلامي في مجال العلوم الطبيعية محجوب عبيد." أوراق ندوة إسلام المعرفة".

الإشارات العلمية والإعجاز القرآني د. حسن الطوير .بحث منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية في طرابلس الغرب العدد العشرون سنة 2003

إعجاز القرآن: للباقلاني ت 403 هـ تحقيق السيد أحمد صقر نشر دار المعارف مصر .الطبعة الثالثة

البحر المحيط في أصول الفقه الزركشي مراجعة عمر سليمان الأشقر طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت 1982م

البرهان في علوم القرآن للزركشي تـ794 هـ تحقيق مجمد إبراهيم.نشر دار المعرفة .بيروت4 مجلدات

جهود العلماء في بيان إعجاز القرآن محمد بن موسى الشريف ط:1433هـ 2012م قدم البحث في بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم و علومه الكتاب الثالث سنة 1432هـ -2011 م

جهود العلماء في خدمة القرآن الكريم في مدينة فاس بالمغرب المحور الثالث المؤتمر انعقد في 11-13 جمادى الأولى 1432هـ 15-17 أبريل 2011م

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني .قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر . ط5 1424هـ مكتبة المعارف الرياض

الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس باب الأسماء الإسلامية المكتبة السلفية القاهرة، 1910 م

منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، امزيان: محمد محمد المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1991م.

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي تـ606 هـ تحقيقد.أحمدحجازي السقا.المكتب الثقافي لقاهرة1989م

## فهرس المواضيع

المبحث الأول: النواميس الكونية والسنن الإلاهية في الخلق و الاستخلاف **1**

1 - قانون الاستخلاف بين العلم والعدل 2

2 - وحدة المعرفة ووحدة العلم بعيدا عن التجزيء و التفكيك 5

3 - الروح سر من أسرار الله في الخلق والأمر 7

المبحث الثاني : العلم وقضايا من الإعجاز العلمي 8

1 - الموقف من هذا الإعجاز بين القبول والرفض 8

2 - قصة الكفر والإيمان بين العلم والقرآن 9

3 - دور الإعجاز العلمي في الوصول إلى الإيمان 10

المبحث الثالث : اللغة و الإعجاز البياني في القرآن الكريم 13

1-الإعجاز البياني بين اللفظ والمعنى عند عبد القـاهر الجرجـاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز13

2 - الحقيقـة والمجـاز فن من فنـون هـذا النـوع من الإعجـاز 15

3 – فضـــــل القــــرآن على تطـــــور اللغـــــة العربيـــــة 16

فهـــــــــــرس المصـــــــــادر والمراجـــــــــع 19

فهـــــــــــــــرس المواضـــــــــــــيع 20